التقليد
(٣)

تناول فضيلة الشيخ سليمان في الجزء الثاني من محاضرة التقليد المنشور في العدد الماضي الشروط المطلوبة توافرها في الفقيه المقلد فقال فضيلته ان الاسلام اشترط ان يكون الفقيه الذي يصح ان يرجع اليه ويعتمد عليه من المؤمنين والشرط الثاني ان يكون بالغا لان غير البالغ حتى لو كان فقيها فلا يجوز تقليده لانه لا يتحمل مسئولية اخروية او دنيوية. واضاف فضيلة المحاضر ان بعض العلماء كذلك اشترطوا الذكورية واورد في مجال ذلك بعض الروايات، والشرط الرابع هو ان يكون الفقيه عادلا لان الفاسق لا يولى على شئون المسلمين ولا يؤتمن على دينهم، واورد رواية عن (السيد الخوئي) مروية عن الامام العسكري (ع) في هذا المقام ..
ونواصل في هذا العدد نشر الجزء المتبقي من المحاضرة .

● قلنا ان استاذنا الجليل (السيد الخوئي) ايده الله قد توقف في اشتراط العدالة وان ذهب الى ان ذلك هو احوط غير ان مبناه ايضا لايمكن المساعدة عليه اما اولا : فلأن الله سبحانه وتعالى نهى عن اتباع من لم يتبع الدين ولان كل الروايات الواردة اشترطت العدالة ومنها الرواية الواردة عن الامام العسكري (ع) وان كان في نظره الشريف ضعيفة لا يعمل بها ومنها ما ورد عن زرارة بن اعين كما رواه الكليني في الكافي في تفسير قوله تعالى : اتخذوا احبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله » فقال الامام (ع) : والله ما صلوا لهم واحدة ولو دعوهم الى عبادتهم لما أجابوهم ولكنهم أحلوا لهم حراما وحرموا عليهم حلالا ما تبعوهم فيه فعبدوهم من حيث لا يشعرون .

وقال زرارة يا مولاي اذن هلكنا فهذا شان عوامنا انما يرجعون في مسائلهم الى علمائهم وهم يحلون لهم ويحرمون عليهم واولائك يتبعونهم فقال (ع) فرق بين عوامنا وعوام النصارى واليهود او فان عوام النصارى واليهود او عوام هؤلاءك ـ كما هو نص الرواية ـ وجدوا في علمائهم الفسوق والعصبية فاتبعوهم فهم مثلهم » .

وهذه الرواية صحيحة السند بلا اشكال ومؤداها اشتراط العدالة في مرجع التقليد فلا بد اذن ان يكون مرجع التقليد عدلا . وهل يتشرط في مرجع التقليد ان يكون حياً وهل يجوز ان يكون مرجع التقليد ميتاً . تظاهرت اقوال العلماء في الشهرة بين جيل و آخر فربما مرَّ جيل يكون القول المشهور فيه بين علمائه هو القول بجواز تقليد الميت وربما مرَّ جيل يكون القول المشهور بين علمائه هو المنع من جواز تقليد الميت فما هو المؤدي من كلمات الائمة عليهم السلام في هذا الصدد ام ان الائمة لم يتكلموا عن المسالة ويلزمنا السكوت حيث سكتوا والا ننطق حيث نطقوا بترك الناس يسيرون حسب ما يشتهون مثلا في الاختيار ، من جاز خلال كتب الروايات خاصة تلك الروايات التي وردت في فضل العلم والعلماء لا شك انه يصدر باحاديث كثيرة متواترة اجمع عليها المسلمون في روايتها عن النبي (ص) او مستفيضة يعني رواها أكثر الشيعة عن انفسهم او صحيحة السند قد تعرضت للمسالة ونحن اذا رجعنا الى هذا الباب لا نجد رواية واحدة تشترط حياة المؤمن بل نجد روايات تجيز العمل بقول الموتى من العلماء اول هذه الروايات ما روته السنة والشيعة قاطبة عن رسول الله (ص) انه قال يموت المرء الا من ثلاث ولد بار يستغفر له ، وصدقة جارية في حياته فهي تجري له بعد مماته ، وكتاب علم يعمل به » فاذن النبي (ص) اعتبر ان شخصية الانسان وحياته تنتهي وتتوقف الآثار الشرعية من الثواب والعقاب بالنسبة له الا في ثلاث حالات . الحالة الاولى :

ان يوفق لتربية ابنه تربية اسلامية صحيحة فيشب ذلك الابن باراً بأبيه يستغفر له عند الفراغ من صلواته ويقرا له القرآن ويصلي له في الليل او النهار ويحج عنه او يصوم عنه مستحبا الى غير ذلك من الاعمال وهذا معنى الاستغفار لان هذه الاعمال لا شك انها تخفف الذنوب التي على الميت لو كانت عليه ذنوب فاذن يلحقه الثواب من هذه الجهة . والامر الثاني :

ان الله سبحانه وتعالى انعم عليه باموال فلم يضعها هباء منثورا وانما عمل بها اوقاف ينفق منها على فقراء المسلمين وعلى مرضى المسلمين وعلى مصالح المسلمين الأخر فهذه الصدقة كانت تجري له في حياته فهي تجري بعد وفاته . والامر الثالث :

ان يكون عالما فيؤلف كتابا في علم الدين يعمل به من ياتي بعده من الناس ويستمر العمل عليه اجيالا متواصلة فهو ينتفع من ثواب ما يعملون وهذا الحديث كما قلنا متواتر بالاجماع السنة والشيعة على ان النبي (ص) قاله .

الرواية الثانية عن الصادق (ع) حيث دخل عليه رجل فقال له يا فلان الك سبعين عاما وانت لا تعرف ان تصلي لله ركعتين فقال يا مولاي : كيف لا اعرف ان اصلي لله ركعتين وعندي كتاب حريز يعمل به فقال له الإمام قم فصلي . ولا شك ان حريزاً (رضوان الله عليه) وهو من اقدم فقهاء الشيعة قد توفي في بداية امامة الامام الباقر (ع) وقد أخبر هذا الانسان الامام الصادق بانه يقلد حريز ويعمل بكتابه فما اعترض عليه فمعنى ذلك انه اقره على العمل بكتاب فقيه ميت وانما قال له لا عليك قم فصلي يعني ارني صلاتك .

الرواية الثالثة ايضا عن الامام الصادق (ع) من علم علما كان له أجر من عمل به الى يوم القيامة » قال السائل : وان مات ؟ قال : وان مات .

الرواية الرابعة عن الصادق (ع) ايضا يقال للفقيه يوم القيامة أيها الكافل لايتام آل محمد قم حتى تشفع فيمن أخذ عنك وتعلم منك فيقوم ويشفع في فئام وفئام وفئام وفئام اوصلها الامام (ع) الى عشرة اى عشرة أجيال ولا شك ان عشرة اجيال لا تتلاقى جميعا ثم قال : وهم الذين تعلموا منه والذين تعلموا ممن تعلم منه والذين تعلموا ممن تعلم ممن تعلم منه . والروايات كثيرة في هذا السياق

رجوع الجاهل الى العالم فطرة بشرية وبناء عقلائي وهي ليست من مخترعات الشريعة

المحاضرة الثانية والاربعون لفضيلة الشيخ سليمان المدني

لا يشترط في الفقيه المقلد ان يكون من الاحياء وتدل الروايات الواردة عن الائمة على جواز تقليد الفقيه المتوفى

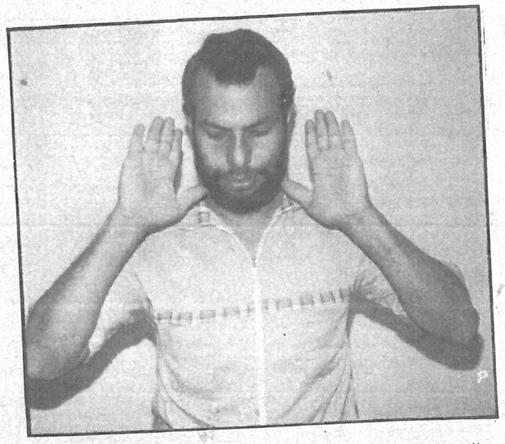

ولا شك ان التحريم والتحليل اذا لم يكن مؤتمن على كلمات أهل البيت (ع) يكون المتابعة فيه من المحاكاة لا من التقليد وربما احتجوا بان العقل يمنع من تقليد الميت وذلك لان الانسان دائما يريد ان يشافه المسئول ويأخذ منه ولان الحاضر يعرف هذا الزمان اكثر مما يعرفه من كان في زمان آخر ولا شك انه قبل الجواب بان الكلام بانه يصح الاعتماد على العقل في الاحكام او لايصح فهي مسالة خلاف فيما اذا لم تتوفر النصوص

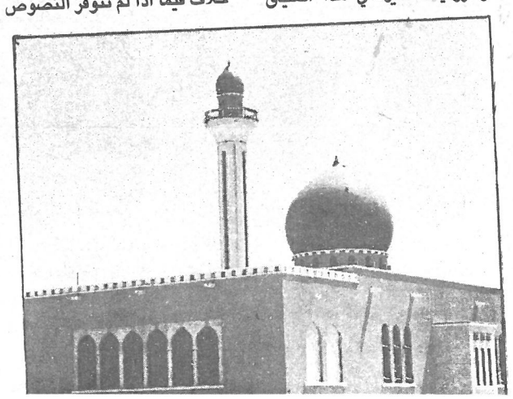

لا في مجال توفرت فيها النصوص .

والشيء الثاني اننا اذا قلنا بأن رجوع الجاهل الى العالم ليست من مخترعات الشريعة وانما هي فطرة بشرية وبناء عقلاني فاذا شككنا في صفة او شرط ولم نجد في الشريعة كلام فيه نرجع رأساً الى بناء العقلاء الدال او الناتج من تلك الفطرة فلو فرضنا ان الروايات كلها خلت من ذكر تجويز تقليد الميت او عدم تجويزه او كانت المسالة غفلاً بحديث وعدنا الى الفطرة البشرية والبناء العقلاني لما وجدناهم يطرحون الدواء لمجرد ان الطبيب الذي كتبه قد مات او يستهزءون بمن دخل عند طبيب ففحصه وكتب له الدواء وبعد مدة مات ذلك الطبيب ثم احتاج هو الى الدواء او احتاج غيره الى ذلك الدواء لا نجدهم يقولون له كيف تعمل بدواء وصفه الميت كما اننا نجدهم يتفقون جميعا بالعمل بالنظرية ما لم يظهر خطاها وان تتطاولت عليها الآماد ومضت عليها الادهار .

ولاشك ان من زاول العلوم وأخذ طرفا من اي فن كان يجب انهم يدرسون فيه نظريات ترجع الى اكثر من الفي سنة فلماذا يا ترى تبقى موضع العناية وتبقى موضع الدراسة اذا كانت الفطرة البشرية تاباها واذا كان البناء العقلاني لا يقرها هذا اذا كنا لم نجد في المسالة في روايات إهل البيت عين ولا أثر اما مع توفر النصوص فلا شك اننا نسير على حسب قوله صلى الله عليه وآله : « اني مخلف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي وانهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض وانكم لن تضلوا ما ان تمسكتم بهما أبداً وانهم لن يضلونكم من باب هدى ولن يدخلونكم في باب ضلالة فلا تتقدموهم فتمرقوا ولا تتاخروا عنهم فتزهقوا ولا تعلموهم فانهم اعلم منكم » .